تقديم

تخصص مجلة أسيناگ -ⴰⵙⵉⵏⴰⴳ الملف الموضوعاتي لعددها السادس للتراث الثقافي الأمازيغي، في بُعده المنقول .ففضلا عن مقاربة تصنيفية للفنون والصناعة التقليديين، والمساهمة في إنتاج المعرفة حول الثقافة الأمازيغية وإبراز معالمها، يروم الملفّ بلورة التفكير في مآل هاته الثقافة، في سياق مطبوع أكثر فأكثر بالمواجهة الرمزية وبالمطالب الهوياتية والتماثلات الثقافية وبتمظهرات العولمة.

يتميز التراث الثقافي الأمازيغي المنقول بغنى يكاد يستحيل معه الإحاطة بكل مكوناته وأبعاده وأشكاله وملامحه، ومن ثمّ، فإن الباحث غالبا ما يلجأ إلى حصر اهتمامه على المظاهر التي تبدو أو تعدّ "مهمّة" أو "سامية". أكيد أن مقاربة من هذا القبيل لا تخلو من مخاطر، فالانتقاء في التراث المنقول، فرزا لـ "الأعظم شأناً" من "الأدنى مقاماً" ينمّ عن رغبة في وضع تراتبيّة غير مقبولة داخل نفس الثقافة بشأن الفنّ، إن على المستوى الأخلاقي أو على المستوى المنهجي. ذلك أن اعتماد مثل هاته التراتبية يحيل على نموذج ماضوي تحكمه التطوّرية القائمة على التمييز (الفصل) بين المتحضّر (الأعلى منزلةً) و البربريّ (الأقلّ شأناً) .

ولم يشكل جورج مارسي ، في تعريفه لفن "البربر"، استثناء، بل ظل أسير تصور المرحلة التي ينتمي إليها، حيث كتب في مقال نشر سنة 1956، ضمن "الندوات- الزيارات لمتحف ستيفان گسيل 1954-1955"، ما يلي : "لتعريف الفن الأمازيغي ومحاولة الكشف عن شخصيته، ينبغي تمييزه أولا عن الفنون التي تعايشت معه، وازدهرت على نفس الأرض، إذ ظلت هذه الفنون غريبة عنه ولم تتمكن من التأثير فيه إلا جزئيا و بصورة عشوائية" (ص:3) ، فلا يمكن للفن الأمازيغي، حسب مارسي، أن يرقى إلى مستوى ذلك الفن المرهف الذي أبدعه "الأسياد" سواء في العصر القديم أو في المرحلة الإسلامية. ويضيف مارسي قائلا: "يبدو أن هذا الفن السابق جدا للإسلام ، قد قطع الأحد عشر قرنا من الغزو الإسلامي بثبات، دون أن يطوله التراجع الذي عرفته الفنون مع الغازين وخلفائهم، ويتبين أنه لم يعرف تطورا أو تجددا يذكر".

تدخل الفنون الأمازيغية، باعتبارها مكوّنا رئيسا للتراث الثقافي المغربي، في عِداد الفنون والصناعات الثقافية التي تشمل الفنون التطبيقيّة والفنون الصناعية. وتتميز هذه الأخيرة باعتمادها ثلاثة ثوابتَ : الأول فكري، يتمثل في معارف ومهارات تقليدية؛ والآخران ماديان، يتجلّيان في الموادّ الأوّليّة والأدوات المستعملة. ويكتسب الموضوع بُعدا تراثيا جليّا بالجمع بين هذه الثوابث، ضمانا لوصل الماضي بالحاضر، ولتناقل المعارف المحصّلة داخل الأجيال وبينها، وقد تكون الأدوات أو الأعمال (المُنجَزَة) ذات طبيعة تزيينيّة (زخرفيّة) أو نفعيّة، مع غلبة مظهر على آخر أحيانا. وعندما تفقد بُعدها الوظيفي تغدو في حكم عوارض الصناعة التقليديّة بتمظهراتها التزيينيّة والجماليّة والأسلوبية.

وتحظى المنتوجات بعناية جماليّة دقيقة على مستويات شتى، تشمل المادّة الأولية والشكل والزخارف والألوان والرموز. فالتحف الفنّية، سواء كانت معروضة أو ظلت في موقعها الأصلي، تُبهج الناظر وتثير مشاعر الإعجاب؛ ونادرا ما تكون موضع تحقير أو ستصغار.

وقد رُصدت للمنتوجات المغربية المنقولة أعمال ما تزال معتمَدة كمراجع في مجال التأليف حول المنتوجات الثقافية الأمازيغية. .بيد أن هذه الإنتاجات، يُنظر إليها في بعض المناطق ، كفن "بدائي" (أو في حكمه)؛ وتُعدّ أحيانا فنا "فطريا" أو "ساذجاً" أبدعته شعوب تعيش "على هامش التاريخ والحضارة". إذ لم يكن بمقدور الأمازيغ، حسب هذا المنظور، إبداع فن يضاهي فنون جيرانهم بحوض المتوسط "عظمة" و"رّقة". ومن ثم، ظلت الإنتاجات المعرفيّة حول الثقافة الأمازيغية، لاسيما الماديّة منها، تعاني من وطأة الحصريّات والحتميات الإيديولوجية.

ولوضع قطيعة مع إرثيْ ماقبل الفترة الاستعمارية وما بعدها، برز توجّه حديث، خاصّة في ميدان الأنتروبولوجيا، محاولا إعادة التفكير في القيَم التي تحملها المجموعات الأمازيغية وتتناقلها، ومعتمدا في ذلك مقاربةً تركيبيّة من شأنها تصحيح أو إزاحة الصورة النمطية لمجتمع تقليديّ "مُفَلْكَلَر". فتعاملت مع الثقافة

الأمازيغية كثقافة أفريقيّة ومتوسّطيّة، تتّسم بالحيويّة والديناميّة، وتخضع كغيرها من الثقافات لنواميس الديمومة وإعادة التركيب والابتكار، موازنة في ذلك ما بين الأصالة والتنوع.

ومع ذلك، فإن حقولا واسعة من البحث في مجال الإنتاجات الفنية المادية (الفن والصناعة التقليدية) لم تُستكشف بعد، أو لم تُطرق إلا لِماماً لأغراض غير علمية. ومن ثمّ، لازالت عدّة أسئلة حول مآل الثقافة الماديّة الأمازيغية، وكذا حول موقعها في السياسة الثقافية للدولة مطروحة وراهنية.

وفي هذا السياق، خصصت مجلة أسيناگ ⴰⵙⵉⵏⴰⴳ الملف الموضوعاتي لعددها السادس للتراث الثقافي، في بُعده المنقول ، من جهة، وللفنون الأمازيغية من جهة أخرى. وشمل تسعة مقالات، اثنان منها بالعربية وسبعة بالفرنسية.

في دراسة حول "الفن والأسطورة بشمال أفريقيا القديم"، تناولت خديجة قمش الأسطورة كمنبع إلهام لا ينبض للفن، لاسيما النحت والفسيفساء. فكشفت عن دور الأسطورة الأمازيغية ومساهمتها في الإبداع الفني في شمال أفريقيا القديم، دون أن تنفي الأفكار السائدة حول تأثر هذا الفن بالأساطير الأغريقية والرومانية.

ومن خلال دراستها للفخار في منطقة الريف، عالجت صباح علاش الإنتاج النسائي، فخلصت إلى أنه في غياب انتقال هذا الفن الشهير عبر الأجيال، دون تثمينه ثقافيا، واعتبار مهارات إبداعه تراثا، أصبح هذا الفخار النسائي بامتياز مهددا بالنسيان أوالقبوع على رفوف المتاحف على نحو قطع أثرية تحيل على ثقافة إنتاجية خاصة بمنطقة وبجنس معينين .

وفي سياق مماثل، خصص أبو القاسم الخطير مقالته لصناعة الفخار الرجالي، حيث حاول ، أن يرسم مسار بناء المعارف المرتبطة بالمنتوجات الثقافية عامة، وبالفخار خاصة. ويحيل هذا المسار على الخصوصيات الأساسية التي تتجلى في مسألة الأصول والوظائف والمسلمات حول الفخار الأمازيغي المُجسَّم، بصنفيه البدوي والحضري.

وللبحث الأركيولوجي حضور قوي في هذا العدد، حيث خصصت له أربعة مقالات، اهتمت ثلاثة منها بالعصر القديم، وتطرق مقال واحد لما قبل التاريخ الذي يعد العصر الذي عرف الكثير من المستكشفات والمعطيات الجديدة. وفي هذا الإطار، قدم مصطفى نامي ملاحظات حول البحث الأركيولوجي بصفة عامة، مساهما، بتحليل علمي، في تسليط الضوء عن أصول الإنسان بالمغرب وعن صناعاته وإبداعاته.

أما رشيد أغربي، فقد رسم صورة تكشف عن المواقع القديمة لصناعة الفخار بالمغرب مستندا على الحفريات الأثرية القديمة والحديثة التي تثمن دور الخزافين الموريين، أي الأمازيغيين، في مجال واسع من الإبداعات الثقافية والحضارية في منطقة بحر الأبيض المتوسط.

وفحص عبد الله فيلي، في بحثه التأملي، الفخار الأمازيغي من وجهة نظر أركيولوجية، متتبعا إياه على حقب طويلة تبدأ بعصر ما قبل التاريخ لتصل إلى القرون الوسطى . وقد أشار الباحث إلى الصعوبات التي تميز إنتاج الفخار، وتنوع أشكاله ووظائفه. وموازاة مع ذلك، أشار إلى بعض الرموز والأشكال التي ظلت مستعملة على مر العصور، رغم التغيرات التي عرفتها شمال أفريقيا، والتي تشهد على القوة الإنتاجية للشعوب الأمازيغية، التي وإن كانت مختلفة في مسائل شتى، فهي ولا ريب تشترك في بيئة متماثلة وأنماط عيش متكاملة.

وللفسيفساء، كفن وثيق الصلة بالعصر الإغريقي - الروماني القديم، حضور أيضا في هذا العدد، حيث خصص له مقال مشترك بين بلكامل البيضاوية وزهرة قنينبة، مستلهما الذخيرة الفسيفسائية للمواقع المغربية الكبرى، وراسما صورة للفنانين الحرفيين الذين جعلتهم جل الكتابات نكرات ثانوية تحجبها إنتاجاتهم الإبداعية.

كما رصدت للتحافة أو علم المتاحف دراسة لمحمد السعدوني الذي تناول كيفية عرض التحف الأمازيغية، حيث ركّز على متحف تروبين بأمستردام كنموذج تتبع من خلاله مسار المجموعات الأمازيغية، وأصولها والدوافع الثاوية خلف عرضها.

وحول موضوع أبواب المنازل والمخازن الجماعية في الجنوب المغربي، يدور مقال أحمد سكونتي، الذي وقف عند وطيفيتها وقيمتها الجمالية والرمزية، مشيراً إلى أن طابعها التراثي متجدّر في القدم، وهو يفسر حضورها في عدد كبير من المتاحف العالمية.

وعزّز ملف العدد بحوار علمي مع علي أمهان، الباحث الأنتروبولوجي، والمسؤول سابقا عن المتاحف بالمغرب، الذي استعرض أهم تعاريف التراث المنقول، مشيرا إلى صعوبة تحديد الفنون الزخرفية، نظرا للدلالة الاختزالية للتسمية بالنسبة للفنون الأمازيغية. فهذه الأخيرة ليست وسائل ترفيهية فقط، بل إنها وظيفية بالدرجة الأولى. كما أثير في هذا الحوار المسار التاريخي للمكوّن الأمازيغي وتمثّلاته وموقعه في السياسة الثقافية، وكذا آفاق الفنون الأمازيغية والوسائل الكفيلة بإعادة الاعتبار إليها .

ويضم باب "متنوعات" خمس مساهمات، الأولى لعبد العزيز بركاي، وهي دراسة لسانية للخصائص الصرفية التركيبية للهجة أوقاس في منطقة القبائلية الساحلية، حيث قام الكاتب بمعالجة الخصوصيات الصرفية التركيبية للأفعال.

وقام رضوان فايزي، في مقال مكتوب باللغة الإنجليزية، بدراسة مقارنة للنبر في الأمازيغية، فبين أن وضعه مرهون بطبيعة البنية العميقة للمقطع، ومن ثم توصل إلى أن المقطعين الأول والأخير أشدّ تنبيراً من المقطع المتوسط.

وفي مجال الطوبونيميا، تناول مقال محمد يعو الطوبونيميا المتداولة في منطقة فجيج، حيث قدم عددا من الأعلام الجغرافية، وخاصة منها أسماء الجبال والواحات والأراضي الفلاحية والقصور والوديان ومصادر المياه. واعتمدت الدراسة منهج المقارنة اللسانية، من خلال البحث في صيغة ودلالة أسماء الأماكن في اللهجات الأمازيغية.

وتناول لعربي عقون في مقاله شخصية "الكاهنة" التاريخية واضعا إياها في سياقها التاريخي الواقعيّ المستقَى من نظرة الغالب.

ويضم باب "عروض" قراءتين لكتابين اثنين. فالعرض الأول لحمو بلغازي حول كتاب رشيد أكرور " *ليوبول جوستينارز. أربعون سنة من الدراسات الأمازيغية*"[1]، أما العرض الثاني فمن إنجاز الوافي النوحي، حول كتاب الحسين أسكان "*الدولة والمجتمع في العصر الموحدي*".

أما باب "ملخصات الأطاريح" الذي يهدف إلى التعريف بالأعمال الأكاديمية المنجزة حديثا حول اللغة والثقافة الأمازيغيتين، فشمل أربع ملخصات. ويتعلق الأمر بأطروحة مبارك آيت عدي (2003) عن "حملة أحمد المنصور الذهبي بلاد السودان: مساهمة في إعادة الدراسة" بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، وأطروحة مبارك والنيعام[2] (2008) حول "الخيالة والفرسان والمشاة المغاربة في الجيش الفرنسي: الالتزام والمسار والنسيان (1908-2006) "، بجامعة باريس الأولى بانتيون- السوربون، وأطروحة رشيد أكرور (2009) "حركة الهيبة والقبائل الأمازيغية بالأطلس الصغير. تاريخ الهامش (الجنوب الشرقي المغربي) في مواجهة السلطة المركزية"[3]، بجامعة باريس الأولى بانتيون- السوربون، ثم أطروحة كمال أقا (2009) "محلاتية الفعل وضوابط تأليف المعاجم التعليمية ثنائية اللغة: مشروع معجم عربي أمازيغي نموذجا"، بكلية

[1] *Léopold Justinard. Quarante ans d'études berbères*

[2] Goumiers, Spahis et Tirailleurs marocains de l'Armée française. Engagement, parcours et oubli (1908-2006).

[3] Le mouvement hibiste et les tribus berbères de l'Anti-Atlas. Une histoire de la périphérie (sud-ouest marocain) face au pouvoir central (1910-1934).

الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس، وأطروحة بشرى البركاني (2010)[4]"اختيار حرف تيفيناغ لتعليم وتعلم الأمازيغية في المغرب: الشروط والتمثيلات والممارسات" بجامعة جان موني بسان إتيان.

وشمل فضاء الإبداع الأمازيغي ثلاث قصائد، الأولى للمصطفى سرحان "ⴰⵎⵓⵎⵉ ⵔⴰⵡ ⵙⵓⵣⴰ"، والثانية لمحمد سلطانة "ⵔⵓⴽⵍ"، والثالثة للحسن بوتسعيد "ⵎⵉⵎⵇⵖ".

أخيرا، تتقدم مديرية المجلة وهيئة تحريرها بخالص الشكر إلى كل من ساهم في إخراج هذا العدد: المحفوظ أسمهري، ورشيد أغربي، محمد ألحيان، وعلي أمهان، فؤاد أزروال، وخورخي أونروبيا بنتادو، والبيضاوية بلكامل، ونوال بنبراهيم، وعائشة بوحجر، فاطمة بوخريص، ويحيى بوكبوط، وأحمد سكونتي، ومحمد شطاطو، ومحمد الطاهري، وصباح علاش، ولكبيري العلوي، وخالد عنسار، وفؤاد لحبيب، وعبد الله فيلي، وزهرة قنينبة، والحسين المجاهد، وعلال لخديمي.

4 Le choix de la graphie tifinaghe pour enseigner-apprendre l’amazighe au Maroc : conditions, représentations et pratiques.